الإبادة الجماعية للأرمن ومجاعة الموارنة والدروس المستفادة من فظائع الماضي

بواسطة روبرت رابيل (/ar/experts/rwbrt-rabyl-0)

مايو
متوفر أيضًا باللغات:
English (/policy-analysis/armenian-genocide-maronite-starvation-and-lessons-past-atrocities)

عن المؤلفين

روبرت رابيل (/ar/experts/rwbrt-rabyl-0)

روبرت رابيل هو أستاذ متميز للشؤون الحالية في قسم العلوم السياسية في جامعة فلوريدا أتلانتيك

تحليل موجز

إلى جانب الاعتراف بالإبادة الجماعية ضد الأرمن يجب على العالم أن يعترف بالتجويع القسري للموارنة في لبنان خلال الحرب العالمية الأولى

على عكس الرؤساء الأمريكيين السابقين الذين تمنّعوا عن الاعتراف بالإبادة الجماعية للأرمن أصدر الرئيس جوزيف بايدن جونيور بيانًا الشهر الماضي قال فيه: "الشعب الأمريكي يكرّم جميع الأرمن الذين فقدوا أرواحهم في الإبادة الجماعية التي بدأت في مثل هذا اليوم منذ 106 سنوات نحن نرى ذلك الألم نحن نؤكّد التاريخ نحن لا نفعل ذلك لإلقاء اللوم ولكن لضمان أن ما حدث لن يتكرر أبدًا".

لا شكّ في أنّ هذا الاعتراف بالإبادة الجماعية للأرمن من جانب قوّة عالمية كبرى وهو اعتراف طال انتظاره قد جلب الراحة لأمّةٍ أدى فيها عدم الاعتراف بالإبادة الجماعية التي تعرّضت لها دورًا في إلهام المزيد من الفظائع في جميع أنحاء العالم وبحسب ما ورد برّر أدولف هتلر الإفلات من العقاب الذي رافق خطته بإبادة اليهود بقوله: "مَن بعد كل شيء يتحدّث اليوم عن إبادة الأرمن "

ومع ذلك فإنّ اعتراف الولايات المتحدة المتأخر بهذه الإبادة الجماعية التي ارتُكبت في خلال الحرب العالمية الأولى يسلط الضوء أيضًا على أنّ الشعوب الأخرى التي واجهت الإبادة في خلال هذه الفترة لم تلتئم جروح ذاكرتها الجماعية بعد وما زالت ترى أنّ مآسيها التاريخية مرّت مرور الكرام في ظل غياب الاعتراف بها وأنّ الألم الذي تعايشه لا يحرّك الشجون وأنّ مستقبلها غير مؤمّن وتشمل هذه الشعوب المجتمع الماروني الكاثوليكي في لبنان

المجتمع الماروني هو من أقدم المجتمعات المسيحية في الشرق الأوسط وبحسب أب التاريخ الماروني أسطفان الدويهي فإنّ الكنيسة المارونية قد تمسّكت باستمرار بعقيدة الكنيسة الكاثوليكية منذ مجمع خلقيدونية عام 451 م التي نبذت عقيدة الطبيعة "المونوفيزية" التي تتبعها الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية والتي تعتبر أنّ للمسيح طبيعة واحدة وأكدت في المقابل على اتحاد الطبيعتَين الإلهية والبشرية في المسيح

طوال هذا التاريخ الطويل واجه الموارنة مستويات متفاوتة من التهميش والعنف ومن عام 517 م حتى ستينيات القرن التاسع عشر عاشت المجتمعات المارونية في لبنان فترات من السلام تخلّلتها ممارسات مثل فرض الضرائب الموجّهة إلى فئة معيّنة والذبح العنيف

والتوترات الداخلية الدامية. ودفعت فترات الاضطهاد هذه الموارنة إلى البحث عن ملاذ امن في منطقة جبل لبنان الذي اصبح منذ ذلك الحين ملاذًا وديارًا للموارنة منذ القرن السادس. كما دفع هذا التهميش الموارنة إلى إنشاء علاقة متينة مع فرنسا تعود إلى فترة الحروب الصليبية ففي عام 1250 أشار الملك الفرنسي لويس التاسع إلى الموارنة بأنّهم "جزء من الأمّة الفرنسية" في رسالةٍ كتبها بعد أن رحب الموارنة بالصليبيين الفرنسيين. وأصبحت فرنسا تنظر إلى الموارنة على أنّهم "أبناء" فرنسا وكان الموارنة ينظرون إلى فرنسا على أنّها "أمّ لبنان".

على الرغم من قرون من التهميش قد تكون الحرب العالمية الأولى الفترة الأصعب في تاريخ الموارنة. ولا تزال هذه الفترة حديثة بما يكفي لتكون حيّة في الضمير السياسي لدى عدد كبير من الموارنة اللبنانيين. ففي خلال الحرب اعترى العثمانيون الذين كانوا يسيطرون على لبنان في ذلك الوقت قلقٌ بشأن احتمال قيام فرنسا وبريطانيا بغزو ساحل البحر الأبيض المتوسط الشرقي بالتعاون مع مسيحيي المنطقة.

على هذا النحو كان العثمانيون متشككين جدًا تجاه الموارنة واتصالاتهم مع فرنسا. نتيجةً لذلك قام جمال باشا وهو الحاكم العسكري لبلاد الشام وأحد منظمي الإبادة الجماعية للأرمن والمعروف أيضًا بلقب "جمال السفّاح" بإلغاء منطقة الحكم الذاتي التابعة لجبل لبنان داخل الإمبراطورية العثمانية. وفرض الحكم العسكري ونشر الآلاف من القوات العثمانية في جبل لبنان في وقت مبكر من الحرب. ولم يثق جمال باشا بشدة في نوايا البطريرك الماروني الياس الحويك والموارنة بشكل عام ما أدى إلى سلسلة من الأعمال المدمّرة.

وكانت إحدى الضربات الحاسمة طرد البعثات التبشيرية والرعايا البريطانيين والفرنسيين والروس من بيروت وجبل لبنان. وكان معظمهم يعملون في المجالات التربوية والطبية وأدى رحيلهم إلى القضاء على عدة خدمات اجتماعية تأسيسية في المجتمعات المارونية. علاوةً على ذلك في آذار/مارس 1915 جرى القبض على الأب يوسف الحايك بسبب تواصله مع بول ديشانيل وكان رئيس مجلس النواب الفرنسي آنذاك. وأمَر جمال باشا بإعدام الحايك شنقًا مرسلًا بذلك رسالة صارمة إلى الكنيسة المارونية مفادها أنّ أي مراسلات مع سلطات دول الوفاق الثلاثي ستُعتبر خيانةً ويعاقب عليها بالإعدام.

إلّا أنّ الإجراء الأكثر تدميرًا الذي اتُّخذ ضدّ الموارنة كان الحصار الذي فرضه جمال باشا على جبل لبنان. ففي بداية الحرب طوّق جمال باشا جبل لبنان وعزله عن سهل البقاع الخصب والمُنتِج لحبوب البلاد كما عن بيروت وفلسطين وسوريا. وأتى الحصار الذي فرضه على جبل لبنان كردٍ على الحصار الذي فرضه الوفاق الثلاثي على المنطقة الساحلية لسوريا الكبرى وكان انعكاسًا لتزايد عدم ثقته بالموارنة.

ونتيجةً لذلك انقطعت جميع خطوط الإمداد إلى جبل لبنان ما أدّى إلى نقص حاد في المواد الغذائية. ولم يؤدِ انتشار القوات العثمانية إلى تفاقم شحّ المواد الغذائية فحسب بل أدى أيضًا إلى تعطيل المحاولات الفردية والجماعية لتهريب المواد الغذائية إلى جبل لبنان. ولزيادة الطين بلّة تعرّض جبل لبنان لهجوم سرب من الجراد الصحراوي في الفترة نفسها. وقضى الجراد على كلّ ما تبقّى من صناعة تربية دودة القز التي كانت تتدهور في المنطقة والتي شكّلت عادةً الدعامة الأساسية لاقتصاد جبل لبنان.

ولم يكن لدى المجتمعات المارونية الموارنة وجماعات جبل لبنان الأخرى سوى القليل من الطعام أو الموارد في تلك المرحلة واعتمدوا على المواد الغذائية القليلة المهرَّبة. وقدّمت الكنيسة المارونية أكبر قدر ممكن من المساعدة للعائلات المتضوّرة جوعًا عبر مختلف الفئات الطائفية. وبينما ظلّ التواصل مع فرنسا غير رسمي في خلال بداية الحرب بدأت الكنيسة تؤيّد فرنسا بقوّة في خلال الحصار. وقام البطريرك الماروني بتعيين الأب بولس عقل وسيطًا مع عملاء المخابرات الفرنسية وأنشأت المخابرات الفرنسية مقرًّا رئيسيًا في جزيرة أرواد قبالة الساحل السوري. في غضون ذلك وعلى الرغم من الظروف القاسية في جبل لبنان استقبل البطريرك الأرمن الناجين من الفظائع العثمانية معلنًا بتحدٍ: "قطعة الخبز التي بحوزتنا سنشاركها مع إخواننا الأرمن". ولسوء الحظ شدّد العثمانيون الحصار أكثر وأرسلوا الموارنة الأصحّاء للعمل في معسكرات العمل العثمانية.

ومع تقدّم الحرب بدأ الموقف العسكري العثماني في التدهور وأصبح جمال باشا قلقًا بشأن إطعام جيشه. ومن أجل تأمين الغذاء لقواته أصدر جمال باشا أوامر بمراقبة بيع الحبوب الأساسية مثل القمح والشعير ونقلها. وفى حين سمحت هذه الأوامر للموالين بشراء القمح والحبوب الأخرى من حوران الداخلية السورية إلا أنها أجبرت المزارعين على بيع الحبوب التي يحتاجونها لاستهلاكهم الخاص وحظرت شحن المواد الغذائية من الداخل السوري (حوران) أو من بيروت إلى جبل لبنان. وتطوّر النقص الحاد في الغذاء ليصبح مجاعة رهيبة. وبحسب تقرير صادر عن المخابرات الفرنسية تفاخر جمال باشا بقوله: "لقد تخلّصنا من الأرمن بحدّ السيف. وسنقضي على اللبنانيين بالمجاعة".

وبحلول شتاء عام 1916 انتشرت المجاعة في بيروت وجبل لبنان. وساعد سوء التغذية على تفشي أمراض الكوليرا والملاريا والدوسنتاريا والإنفلونزا بين السكان. وأدى النقص المزمن في مرافق الرعاية الصحية العامة إلى جانب نقص الأدوية إلى تفاقم انتشار الأمراض المتزايد باستمرار. وفي تشرين الأوّل/أكتوبر 1916 أرسل الأب عقل تقريرًا استخباراتيًا إلى المسؤولين الفرنسيين في جزيرة أرواد يصف فيه الوضع العام في بيروت وجبل لبنان قائلًا: "لا أطباء ولا دواء ولا طعام ولا أشخاص لدفن الموتى".

وكانت صحيفة "نيويورك تايمز" من بين المنافذ الإخبارية الأولى التي اشارت إلى المجاعة ونشرت مقالا في 16 ايلول/سبتمبر 1916 بناءً على تقرير صحفي لامرأة أمريكية ويوضّح المقال صورَ البؤس والجوع والموت وتضمّن الآتي: "مررنا بنساء وأطفال يرقدون على جانب الطريق وعيونهم مغلقة ووجوههم شاحبة مخيفة وكان من الشائع العثور على أشخاص يبحثون في أكوام القمامة عن قشور البرتقال أو غيرها من النفايات ويأكلونها بشراهة عند العثور عليها في كلّ مكان يمكن رؤية النساء يبحثن عن الأعشاب الصالحة للأكل بين العشب على طول الطرق".

وتميّز الآباء اليسوعيون بقدرٍ أكبر من التعاطف في وصفهم للمجاعة وتكشف مذكراتهم المحفوظة في "جامعة القديس يوسف" في بيروت أنّ سكان جبل لبنان وبيروت قد خلص الأمر بهم بالتفتيش في القمامة وحتى في فضلات الحيوانات بحثًا عن بقايا الطعام كما أنّ أجساد الموتى لم تُدفن وجرى الإبلاغ عن حالات أكل لحوم البشر

وبحلول الوقت الذي احتلّت فيه سلطات الوفاق الثلاثي بيروت وجبل لبنان في تشرين الأول/أكتوبر 1918 تحولت عشرات القُرى ركامًا وخسر ما يقرب من ثلث سكان بيروت وسكان وجبل لبنان أرواحهم أي حوالي 175000 شخص

ومن المثير للجدل ما إذا كانت السلطات العثمانية قد خططت بالفعل لإبادة للموارنة عن سابق تصوّر وتصميم ولم تكن ثمّة تعليمات عثمانية مشفّرة بقتل الموارنة جماعيًا ولا فتوى صادرة عن السلطات الدينية لمهاجمة الموارنة كما كان الحال بالنسبة إلى الأرمن ومع ذلك أسفرت السياسات العثمانية في خلال الحرب العالمية الأولى عن القتل الجماعي لأغلبية السكان الموارنة

وسقطت الإمبراطورية العثمانية في نهاية المطاف وأصبح المجتمع الماروني في لبنان حجر الزاوية لدولة لبنان الحديثة لكن لا شكّ في أنّ التحديات التي تواجهها البلاد مستمرة في ظل توترات داخلية وإقليمية وأمام انهيارٍ اقتصادي يهدّد الأمن الغذائي لدى عدد كبير من اللبنانيين اليوم

على الرغم من أنّ بعض المؤرخين قد كتبوا عن المجاعة في جبل لبنان إلّا أنّ الحدث لم يجرِ الاعتراف به إلى حد كبير في الخطاب السياسي أو الاجتماعي المعاصر خارج المجتمع الماروني نفسه وربما جرى تنحية تاريخ الألم والمعاناة والموت في جبل لبنان لصالح قصص الحرب الأهمّ أو ربّما جرى إخفاؤه بذرائع سياسية ومع ذلك في الوقت الذي ينحدر فيه لبنان إلى هاوية الفتنة والفقر يجب أن يعترف المجتمع الدولي بتاريخ تجويع جبل لبنان على يد العثمانيين باعتباره أحد الأعمال الوحشية التي ارتُكبت في خلال الحرب العالمية الأولى وتشكل مجاعة جبل لبنان تاريخًا مأساويًا وحيًا بالنسبة إلى عدد كبير من اللبنانيين ويجب أن يكون الاعتراف بهذا التاريخ شكلًا من أشكال المصالحة ودرسًا مستفادًا لعدم تكرار فظائع الماضي

إنّ الاعتراف بتاريخ المجاعة الأليم سيكون أيضًا بمثابة تحذير محلي ودولي حول كيف يمكن أن تؤدي سياسات الحرب إلى مذابح لا داعي لها سواء أكانت طوعية أم بغير قصد ويجب أن يقدّم الاعتراف الأمريكي الأخير بالإبادة الجماعية للأرمن فرصًا للاعتراف بفظائع أخرى تعود إلى تلك الفترة بما في ذلك الألم والمعاناة اللتَين ألحقهما العثمانيون بالموارنة في خلال الفترة نفسها وشدّد الرئيس بايدن على أنّ الاعتراف بمثل هذه الأحداث ليس لإلقاء اللوم "ولكن لضمان أن ما حدث لن يتكرر أبدًا ". فيجب على العالم أيضًا أن يدرك محنة الموارنة في إطار ذلك الجهد ❖

موصى به

BRIEF ANALYSIS

Iran Takes Next Steps on Rocket Technology

/ /

◆

Farzin Nadimi

(/policy-analysis/iran-takes-next-steps-rocket-technology)

BRIEF ANALYSIS

Saudi Arabia Adjusts Its History, Diminishing the Role of Wahhabism

/ /

◆

Simon Henderson

(/policy-analysis/saudi-arabia-adjusts-its-history-diminishing-role-wahhabism)

BRIEF ANALYSIS

Targeting the Islamic State: Jihadist Military Threats and the U.S. Response

February 16, 2022, starting at 12:00 p.m. EST (1700 GMT)

◆

Ido Levy ,

Craig Whiteside

(/policy-analysis/targeting-islamic-state-jihadist-military-threats-and-us-response)